الدرس الثالث : معجم العين للخليل:

1- التعريف بصاحب المعجم:

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، (100 - 170هـ، 718 - 786م).وهو عربي الأصل من أزْد عُمان. لغوي ومعجمي ومنشئ علم العروض.وفي تاريخ وفاته خلاف عند علماء التراجم، فمنهم من قال: إنه توفي سنة174 للهجرة ومنهم من قال : إنه توفي175 للهجرة ،ومنهم من رجّح170 للهجرة.

نشأ الخليل بن أحمد بالبصرة وتربّى فيها، وكان مولعا بالدرس والبحث. وقد لازم حلقات أستاذيه عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء. وأمّا أستاذه عيسى بن عمر فقد كان إماماً في العربية والقراءات، وصنف كتابي الجامع والإكمال. وأبو عمرو بن العلاء كان أستاذاً للعربية وإماماً في دراستها.

وقد وُهب الله الخليل بن أحمد ذكاءً خارقًا وفطنة كانت مضربًا للمثل في عصره. وجمع إلى ذلك تقوى وزهداً وورعًا وهمّة عالية. وقد فُتحت له مغاليق أبواب العلوم ، فهو عالم اللغة والنحو والعروض والموسيقى وكان شاعرًا.فتحت معرفته بالإيقاع والنظم له بابًا لابتكار علم العروض. فقد نظر في شعر العرب وأحاط بإيقاعاته. ودفعه حسّه المرهف وتذوقه للإيقاع لاستخراج علم العروض، حيث اهتدى إلى أوزان الأشعار وبحورها وقوافيها. وأسدى بمجهوده هذا خدمة جليلة عظيمة للشعر العربي لم يسبقه إليها سابق، وجاراه فيها من أتى بعده. وظلت تُنسب إليه إلى اليوم.

وللخليل من التصانيف: كتاب العين وهو أوّل معجم في العربية؛ كتاب النّغم؛ كتاب العروض؛ كتاب الشواهد؛ النقط والشّكل؛ كتاب الإيقاع.

2- معجم العين للخليل:

يُجمع مؤرّخو المعجميّة العربيّة على أنّ أوّل معجم عربيّ اعتمد منهجاً رياضيّاً في إحصاء الكلمات العربيّة وجمعها هو معجم "العين" الذي ابتدأه الخليل وحال دون إتمامه حتمُ الموت. لكنّه لم يترك لتابعيه جهداً يُذكر في إتمامه، ذلك أنّ الخليل أوّل من استنبط منطق رياضيّاً مُحَوْسباً في تصنيف الكلمات وجَدْوَلتها باعتماد نظامين: نظام اشتقاقيّ صرفيّ يحصي الكلمات مستعملها ومهجورها باعتماد التقليبات والتشقيق، ونظام هجائيّ افترض فيه أنّ أوّل حرف في سلّمه الجهريّ من أسفل الحلق هو حرف العين، فسمّى به معجمه ليكون أمارة على هذا النظام الصوتيّ في تخريج الحروف.

3- خصائص معجم العين:

وأهم ما يميز هذا المعجم -عدا نظامه- أن مؤلفه لم يجمع مفرداته عن طريق استقراء ألفاظ اللغة، وتتبعها في مؤلفات السابقين، وجمعها من شفاه الرواة، وإنما جمعها بطريقة منطقية رياضية، حيث لاحظ أن الكلمة العربية قد تكون ثنائية وقد تكون ثلاثية، وقد تكون رباعية وقد تكون خماسية.

وفي كل حالة إذا أمكن تبديل حروف الكلمة إلى جميع احتمالاتها "بالانتقال من حرف هجائي إلى الذي يليه" وأمكن تقليب أماكن هذه الحروف إلى جميع أوجهها الممكنة يكون الحاصل معجمًا يضم جميع كلمات اللغة من الناحية النظرية. ولكن لا توجد لغة تستخدم جميع إمكانياتها النظرية، ولهذا كان لا بد للخليل بعد الإحصاء النظري أن يميز بين المستعمل من هذه الصور والمهمل وقد فعل ذلك، واستفاد في تمييز المستعمل من المهمل بثقافته اللغوية الخصبة، وبخبرته الصوتية الباهرة، ومعرفته بالتجمعات الصوتية المسموح بها وغير المسموح بها في اللغة العربية. وبذا حكم القوانين الصوتية إلى جانب تحكمه في المادة اللغوية المسجلة.

وقد أثيرت شكوك حول كتاب العين شملت المؤلف نفسه أهو الخليل أم غيره. كما شملت احتمال وجود تأثير أجنبي على معجم العين.

4- منهجه في المعجم:

أما ترتيب الخليل للعين فقد أخذ الصورة الآتية:

أ- رتب كلمات معجمه على الحروف ترتيبًا مخرجيًّا. وقد وجد أعمق الحروف هي حروف الحلق فبدأ بها. ولم يكتف بذلك، بل رتب حروف الحلق فيما بينهما فوجدها ذات مخارج ثلاثة هي: الهمزة والهاء - ثم العين والحاء - ثم الغين والخاء - وقد كان من المتوقع إذن أن يبدأ الخليل معجمه بحرف الهمزة وأن يسمي كتابه بـ "الهمزة"، ولكنه عدل عن ذلك وبدأ بحرف العين وسمى كتابه "العين"، والسر في ذلك أن الخليل قد وجد -بحسه الصوتي- أن الهمزة صوت معرض للتغييرات مثل التسهيل أو الحذف، فلم يشأ أن يبدأ بها، ووجد أن الهاء صوت مهموس خفي فلم يشأ أيضًا أن يبدأ بها. وانتقل إلى الحيز الثاني من حروف الحلق فوجد فيه العين والحاء فبدأ بالعين لأنها "أنصع" أي: أوضح لأنها مجهورة.

ب- كان يلتزم تجريد الكلمة من زوائدها، ثم يضعها في مكانها بعد ذلك، ومعنى ذلك أنه بنى معجمه على "الجذور" أو "الأصول" وأهمل حروف الزيادة. وقد ظل هذا دأب معظم معاجمنا حتى الآن.

ج- رتب الأصوات على الوجه الآتي:

ع ح هـ خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / و أ ي.

وقد جمعها أحدهم في قوله:

العين والحاء ثم الهاء والخاء ... والغين والقاف ثم الكاف أكفاء

والجيم والشين ثم الضاد يتبعها ... صاد وسين وزاي بعدها طاء

والدال والتاء ثم الظاء متصل ... بالظاء ذال وثاء بعدها راء

واللام والنون ثم الفاء والباء ... والميم والواو والمهموز والياء

د- خصص لكل حرف كتابًا أسماه باسمه. فالمعجم عبارة عن كتب بعدد حروف الهجاء هي كتاب العين - كتاب الحاء - كتاب الهاء ... وهكذا.

هـ- وفي كل كتاب كان يضع الكلمات التي تشتمل على الحرف الذي يحمل الكتاب اسمه أيًّا كان موضع هذا الحرف في الأول أو الوسط أو الآخر.

و- حين يتناول كلمة ما كان يقلبها على جميع أوجهها الممكنة. وكان في كثير من الأحيان يلتزم ببيان الأوجه المستعملة، والأوجه المهملة. فكلمة مثل "قد" تقرأ بوجهين إما مع البدء بالقاف أو مع البدء بالدال. وكلمة مثل "عند" إذا قلبت على أوجهها تنتج ست صور هي: ع ن د - ع د ن - ن ع د - ن د ع - د ع ن - د ن ع.

وقد طبق الخليل التقليبات مع جميع كلمات الثنائي والثلاثي وكان ينص على المستعمل من هذه الصور والمهمل. ولكن مع الرباعي والخماسي. وجد أن العملية طويلة والاحتمالات كثيرة والصور المستعملة فعلًا -بالنسبة للمهملة- قليلة جدًّا، ولذا اكتفى بالتقليبات العملية فقط لا الممكنة عقلًا.

ز- نتيجة لنظام التقليبات فإن كل كتاب لا يشتمل على كلمات فيها حروف سابقة: فكتاب "الحاء" لا يشتمل على أي كلمة فيها "عين"، لأن جميع الكلمات التي تشتمل على حرف العين قد سبقت في كتاب العين، وكتاب الهاء لا يشتمل على أي كلمات فيها عين أو حاء لأنها سبقت.... وهكذا. ومعنى هذا أن الكتب الأولى أكبر من الكتب المتأخرة. وكلما تأخرنا قلت كلمات الكتاب. ولهذا فإن كتاب العين يُعد أكبر كتب المعجم وحين نصل إلى كتاب الميم نجده لا يتجاوز بضع عشرة صفحة،

لأنه لم يبق لهذا الحرف ليوفق معه إلا أحرف العلة الثلاثة. أما كتب الحروف المعتلة وهو آخر الكتب فلم يتجاوز بضع صفحات.

ح- خضع تبويب الكلمات لنظام الكمية. فمثلًا في باب العين نجد الكلمات مسجلة بحسب التقسيم الآتي: الثنائي - الثلاثي الصحيح - الثلاثي المعتل - اللفيف - الرباعي - الخماسي - أما الثنائي فقد قصد به الخليل ما وجد فيه حرفان من الحروف الصحيحة، ولو مع تكرار أحدهما في أي موضع طبقًا لنظرية العناصر، فيشمل مثل قد وقد وقدقد. كما يشمل مثل ددن وقلق وجلل، وواضح أن اصطلاح الخليل هذا ناتج عن نظام التقليبات الذي اتبعه، لأن مثل ددن وقلق وجلل ستتماثل في صورة من صور تقليباتها وتشترك في موضع التكرير فيها.

وأما الثلاثي الصحيح فهو عنده -كما عند غيره- ما اجتمع فيه ثلاثة حروف صحيحة. وأما الثلاثي المعتل فما وجد فيه حرفان صحيحان وحرف علة واحد سواء جاء أولًا "مثال" أو وسطًا "أجوف" أو آخرًا "ناقص". وأما اللفيف فقد عنى به ما وجد فيه حرفا علة سواء كانا مفروقين مثل وعى، أو مقرونين مثل كوى.

5- طريقة البحث فيه:

1- تجريد الكلمة من الحروف الزائدة ورد الجمع من الكلمات إلى مفردات إذ أن ذلك يؤدي إلىمعرفة المادة الأصلية.

2 - إذا كانت الكلمة مضعفة مثل: زلزل فانه يستغنى عن التضعيف لتعود الكلمة إلى أصولها ثنائية أو ثلاثية مثلا: ثم يبحث عنها في باب الثنائي أو الثلاثي.

3 - ترتيب حروف المادة ترتيبا صوتيا حسب النظام الذي اختاره الخليل و يبحث عن مشتقات المادة في باب أسبق حروفهما من حيث المدارج الصوتية فلفظ جعد يبحث عنه في مادة ع ج د ولفظة

هـ ج ع في مادة ع هـ ج.

6- عيوب كتاب العين للخليل:

على الرغم من المكانة الملحوظة التي تبوأها كتاب العين فقد تعرض لكثير من الانتقادات و وضعت بعض الكتب لإبراز النقص فيه ، فهناك من يتهم الخليل بأن معظم معجمه منقول عن كتاب الجمهرة لابن دريد، ويذكر ابن جني في الخصائص أن كتاب العين: (فيه الكثير من التخليط والخلل والفساد)

ومن العلماء من ذهب إلى أن الخليل لم يضع نص كتاب العين، ولكنه صاحب الفكرة في تأليفه، فزعموا أن الفكرة للخليل، والتنفيذ لتلميذه الليث بن المظفر بن نصر الخراساني،وأول من قال بذلك: الأزهري صاحب التهذيب.

للاطلاع أكثر والاستزادة ينظر:

1-الخليل بن أحمد الفراهيدي:معجم العين

2- السيوطي :المزهر في علوم اللغة

3- المرجع الالكتروني للمعلوماتية على الشابكة

4- موقع المكتبة الشاملة على الشابكة

4- إبراهيم السامرائي :دلالة الألفاظ

5- عبد السميع محمد أحمد: المعاجم العربية:دراسة تحليلية